

علينا أن نبحث بأنفسنا عن السعادة والحب كل يوم

كان في الخامسة عشرة، حساساً رقيق القلب وخجولاً بحكم التربية العسكرية الصارمة التي فرضها عليه والده الضابط القديم في الجيش العثماني، دخل دور المراهقة متوهماً أن الحب يأتي من النظرة الأولى، وبسبب خجله وخوفه الذي لازمه طويلاً تعثر في علاقته مع النساء، يكتب الفنان جواد سليم في مذكراته: "إن أكثر النساء اللواتي قطعن علاقتهن معي كان سببها بروي وخجلي".

٣٠

وهو يعترف بعد ذلك إنه تأثر كثيراً بمفهوم افلاطون للحب، ففي مكتبة والده عثر على كتاب "المأدبة" الذي يعد من أهم الكتب التي شرح لنا فيها الفيلسوف الأغرقي مفهومه للحب يقول افلاطون الحب أن هو حب للجمال، وإن المبدأ المهتم للرجال في حياتهم هو الحب وليس الثراء ولا المجد. ونجده يكتب لصديقه عيسى حنا في رسالة بتاريخ ١٩٢٧ "الآن لم أعرف الينا فتاة لأجعلها صديقة لي.. أخرج معها وأشاركها قسماً من وقتي، في عام ١٩٣٨ ينتقل جواد سليم إلى روما ويكتب لعيسى رسالة يعترف من خلالها: "إنني أحب يا صديقي.. أحب.. لقد رأيت كل ما كنت أتصوره عن الحب بل وأكثر" كان هذا في أوائل أيامه في روما التي مارست تأثيراً أشبه بالسحر عليه. كانت الفتاة التي أحبها اسمها ماري، يصفها لنا بأنها حسنة ذات شعر أسود فحم.

في روما يقصد المتاحف وتسهره أعمال مايكل أنجلو، ويقرأ عن تأثر هذا الفنان الإيطالي الشهير بنظرية افلاطون عن الحب والخلق والتكوين، فالعبقري الإيطالي كان مشغولاً إلى الأبد الفيلسوف الأغرقي الذي كانت نظريته الجمالية مفتاحاً لأعمال مايكل أنجلو فيما بعد: "ليس ما أعنيه بجمال الأشكال ما يراه الناس عادة جميلة أو يحسبونه كذلك وراء ما يرونه من كائنات أو صوراً لهذه الكائنات، إنما الجميل عندي قد يكون حزمة من الخطوط المستقيمة وما ينتج عنها من أشكال فريدة في ذاتها" كان مايكل أنجلو (١٤٧٥-١٥١٤) فناناً شكلته الفلسفة والحياة، غير أن قصص الحب الفاشلة كانت تطارده، وبينما كان ذهنه منعكساً في أفكار افلاطون عن الجمال والحب، كانت حياته العاطفية أشبه بالمأساة، فقد عاش يعاني في فشل قصة حب في شبابه، وحين عرف في الخمسين من عمره الفتاة الجميلة "فيوتوريا كولينيا"، كانت هي قد خرجت من تجربة حب خاسرة، ولهذا لم تتطور العلاقة العاطفية بينهما وظلت أشبه بالحب الافلاطوني الخالص.

xxxxxxxxxxxx

على طريقة عادة الكاميليا

هل كان جواد سليم ينظر إلى الحب نظراً افلاطونياً؟ يكتب في دفتر يومياته: "كنت لا اتصل بامرأة إلا وأقهر في سنقودني إليه تصرفاتي في المستقبل، فإما أن أتركها وما إن أتجرد من العاطفة يخبرنا جبراً إبراهيم جبرا، بأن جواد سليم كان دائم البحث عن الجمال الإنشوي ليتمتع ببعانيه، وليستمد منه أعمالاً فنية. في يومياته نقراً: "كانت الأوقات الصباحية للمعرض خاصة بالنساء، فذهبت في أكثرها، كنت أقضي الوقت في سماع قطع من الموسيقى والتفرج على النساء.. تلك الرقة الأنثوية الهائلة والعيون الواسعة السوداء المليئة بالرغبة المكبوتة والجمال الجذاب. وأجمل شيء لفت نظري هو هذا الرداء العجيب - العباءة - والطريقة التي يلبسن بها العباءة، وهو يتخاطرن أمام المعروضات بنعومة وعلى ارتزاق متناقل، وهي تنزل من على رؤوسهن ثم تلفن حول أنوار الكفاح وتأخذ قطعة منها في الدوران حول النزاع العاري الأسمر ويخرس قسم منها إلى الأرض سابحاً حول الردفين



جواد سليم

بشكل مبهم ثم ملتقاً حول الساق الملونة". (جواد سليم.. اليوميات - من كتاب الرحلة الثامنة جبرا إبراهيم جبرا). في العام ١٩٤٠ يتعرف جواد سليم على فتاة من عائلة ارستقراطية، يكتب جبرا إبراهيم جبرا: "إن الفنان الشاب كان معجباً بعناصر الجمال التي استهوت به في تلك الفترة" وفي يوميات جواد سليم نعرف على فتاة: "سمراء، جسدها الحار الممتلئ المثير.. شعرها الطويل المبعثر، حركاتها، ضحكاتها، عطفها، حنانها، حبها" ونجد جواد يهيم بهذه الفتاة فيقرر أن ينصب خيمة على شاطئ بحلة قرب منزل تلك الفتاة ليراها كل يوم، وإذا شاهدتها يخيم الصمت يدور حول البيت ولا يجرو أن يدخل فيرجع إلى خيمته، ويكتب في يومياته: أشعر بحالة اضطراب عندما أراها وأرتجف، وإذا شاهدتها يخيم الصمت على، أسير معها ثم أتركها، قلت لها ذات يوم إن الأشياء الجميلة جداً تؤلني بعض الأحيان" وفي مكان آخر من اليوميات يكتب ذهبت لترتدي ثوبا جديداً، وعندما دخلت كنت أشعق في محلي، لا أري ماذا أقول.. لقد ظهرت بثوبها هذا، صورة من أفتح صور للجمال والفتنة. في تلك اللحظة كدت أنوب، كدت أبكي، إن هذه القطعة من القماش الإلهية الرائعة التي فصلتها أيدي الجنة كانت على بدننا العاري تماماً..

ونجده يقف بين بيتا من الشعر للشاعر الإنكليزي إليوت ليصطع في أول الصفحة مع تخطيط بعنوان "مرأة وجهي": "أني أفكر كثيراً بك، ما بعد الزمن منذ أن رأيتك!.."

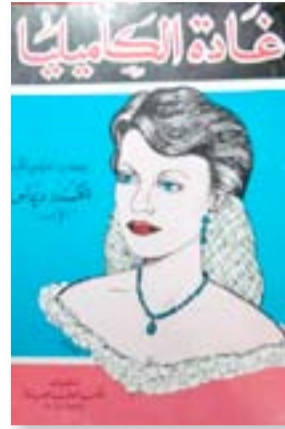
وفي صفحة أخرى يكتب انني شعغو برواية عادة الكاميليا ويقرر أن يعيد صياغة الرواية على شكل لوحات.

كانت جواد سليم يعاني آثار الحب، وهو منذ أيام جلوس في خيمته بانتظار خروج فتاة أحلامه، يقرأ ويخطط ويرسم، وكل نهار يعيد قراءة صفحات من رواية الكسندر دوماس الابن "عادة الكاميليا"، ويخبر أصدقائه انه مغرم بهذه الحكاية الساحرة وبالفتاة مرغريت التي تواجه أخلاق المجتمع الزائفة، فتمتد وحيدة بعد أن وقف الجميع ضد قصة حبها مع الشاب أرمان دو فال

xxxxxxxxxxxx

الحب من اللقاء الأول

خافت الأم على ابنتها الوحيدة من العيش بمفردها في مدينة كبيرة ومزدحمة مثل لندن كانت الفتاة "لورنا هيلز" في السابعة عشر من عمرها قد أنهت الدراسة الثانوية بنجاح وحصلت على



منحة للدراسة في معهد لاعاد المعلمين، لكنها كانت ترغب في دراسة الفنون فتقرر أن تقدم أوراقها إلى كلية سيلد للفنون، يأتي الجواب بالواقفة.

في لندن التي تدخلها للمرة الأولى تجد سكناً لدى زوجين في السبعين من العمر، كانت لورنا قد دخلت لندن في ايلول عام ١٩٤٥ (انعام كجيه جي) لورنا سنواتها مع جواد سليم. وصل جواد سليم إلى لندن عام ١٩٤٦، كان آنذاك في الخامسة والعشرين من عمره، يعاني من قصة حب فاشلة، وعندما شاهدته لورنا للمرة الأولى كان اشبه بالشباب العبثي في ملبسه وتصرفاته، يهتم بالموسيقى، والشعر وقراءة الروايات، والأهم من ذلك كان لديه غيتاراً ايطالياً وذات يوم فاجأ الجميع بارتدائه ثياباً اسبانية، وقد ساهم حب الموسيقى والشعر والروايات في بناء علاقة صداقة بين الفتاة الإنكليزية والشاب العراقي: "فكانا يذهبان معاً إلى العروض المسرحية الراقصة حينما يتوفر لهما ثمن التذاكر، أو يمضيان الوقت في الأحاديث الفنية" (لورنا سنواتها مع جواد سليم).

كان جواد سليم أول طالب عرفي تتعرف عليه لورنا هيلز، ولاحظت انه مثل معظم القادمين من الشرق ينطق اللغة الإنكليزية بطريقة مختلفة وجذابة، ولهذا شعرت منذ لقائهما الأول إنها أمام شاب يمكن أن تثق به كثيراً، وإن صداقتهما يمكن أن تتحول إلى حب في يوم من الأيام، وتخبرنا في حديثها مع انعام كجيه جي إنها: "لم تقل له في ذلك الوقت انها تحبه، ولا تذكر انه أمامها بأنه يحبها أو يريد أن يتزوجها، لكنهما كانا مدركين لإحساس الحب في داخلهما، ويشعران أن طريقيهما باتت واحدة في الآتي من الأيام".

ويدور لورنا كانت تشعر أن هناك ما يجذبها إلى هذا الشاب



الشرقي المرح، سريع النكتة والبديهية إنها تقول: "من حظنا أننا التقينا فلو ابدت شطارة أكبر في الفرع العلمي، لما وصلت قدمي في سيلد يوماً". عندما حصل جواد على شهادة التخرج عام ١٩٤٩ وحين وقت عودته إلى بغداد، نجده يفكر بلورنا وحياته معها، ويخبر اصدقاءه انه قرر الزواج منها، وفي يوم يفاجأها بان يطلب منها ان تعرفه على أمها وابيها، يركبان القطار إلى منطقة شيفيلد التي تسكن فيها عائلة لورنا. هذه المرة يقرر جواد أن يتغلب على تردده، وأن يعلن

حبه صراحة، وحين يواجه مشكلة مع دائرة البعثات التي تمنع الطالب من الزواج أثناء دراسته يخبر والده لورنا الذي يقول له: "عد إلى بلدك أولاً ايها الشاب، فإذا شعرت هناك انك مازلت راعياً في الزواج من ابنتي.. يكون لكل حادث حديث" (لورنا سنواتها مع جواد سليم).

في أحد ايام شهر ايلول من عام ١٩٥٠ تصل الشاببة الإنكليزية النحيلة لورنا هيلز إلى بغداد، وبعد اسبوع من وصولها وجدت نفسها تقف أمام قاضي المحكمة الشرعية لتصبح زوجة أشهر فنان عراقي ولتعيش معه اجمل قصة حب تنتهي بموته المبكر وتنتذكر لورنا تفاصيل اللحظات الأخيرة من حياة جواد: "كنا في سيارتنا الصغيرة التي يقودها جواد متوجهين إلى شارع الجمهورية، عندما توقف زوجي فجأة ونحن وسط إحدى المستديرات، وقال ان يشعر بوخز في قلبه، نزلت بسرعة لأخذ القيادة بدلاً عنه، عدنا إلى البيت واتصلت بالدكتور سالم الدمولجي، الذي تولى نقله إلى المستشفى، مرت عشرة أيام بدا لنا خلالها إن وضع زوجي تحسن وأنه تجاوز مرحلة الخطر، لكن بدأت بعض المضاعفات تسبب حالة خطيرة، وفي نهار ٢٣ كانون الثاني ١٩٦١ بينما أقف إلى جوار سريريه احمل قنينة الغذاء، لفظ جواد أنفاسه الأخيرة في صمت وهدهوء وغادرتنا مسرعة كعادته للحاق بموعده ينتظره" (لورنا سنواتها مع جواد سليم)

كان جواد قبل أيام قد تسلق جدار نصب الحرية الذي اوشك على الانتهاء منه، لينظر إلى عمله النظرة الأخيرة. في واحدة من رسائله التي بعث بها إلى صديقه عيسى حنا من لندن يكتب جواد سليم: نحن نعيش كأننا لا نعيش.. نعيش في انتظار شيء لم ندر ما هو نحن مسيرون ام مخيرون؟ يمكنك أن تكون سعيداً، ويمكنك أن تكون شقياً أيضاً.. اقرأ في رواية لجين أوستن إن علينا أن نكون أقوياء الإرادة ونبحث بأنفسنا عن السعادة والحب والفرح كل يوم".

xxxxxxxxxxxx

كبرياء وهوى " مساء الأحد، الساعة تقارب من العاشرة مساءً، أجلس في غرفة المكتب، أكتب السطور الأولى من رواية جديد لم أختار لها عنوان بعد، كانت الكلمات تنساب مني بسهولة (من جميعاً، أن الاعزب الذي يمتلك مالاً وفيراً لا يبد أن يكون في حاجة إلى زوجة) تركت القلم وذهبت باتجاه النافذة الطقس يندب بالعواصف والأمطار".

بهذه الكلمات التي كتبها الروائية الإنكليزية جين أوستن تبدأ في كتابة إحدى رواياتها الشهيرة "كبرياء وهوى" كانت في الثامنة والثلاثين من عمرها حققت روايتها "العقل والعاطفة" نجاحاً كبيراً، وكانت قبلها قد أرسلت إلى الناشر رواية بعنوان "انطباعات أولية" لم تلق استحساناً حيث رفضها الناشر، فقررت أن تعود لها من جديد تعدل فيها وتضيف لها وتغير عنوانها إلى "كبرياء وهوى".

كانت جين أوستن فتاة جميلة، عيناها براققان، شعرها مجعد ناعم، لها وجنتان مستديرتان ممتلئتان، وفم وأنف صغير وكانت مرحة، بارعة في الحديث، تحسن الغناء والرقص، كانت مغرمة بالقراءة وسهرت ليلال طويلاً تحذف الدموع على "الأم فرتن لغوته" عندما كتبت روايتها الأولى "انطباعات أولية" عام ١٧٩٦ لم تجد ناشراً لها، كانت في السابعة عشر من عمرها فقررت أن تتوقف عن الكتابة، ويقال انها في تلك الفترة كانت تعيش قصة حب شغلها عن التفكير بالرواية، ويخبرنا كاتب سيرتها إنها وقعت في الحب أكثر من مرة لكن قصة الحب العنيفة عاشتها وهي في الرابعة والعشرين من عمرها، إلا إنها لم تكن محظوظة في معظم قصص الحب التي عاشتها كتبت في سيرتها الذاتية، تقول لابن شقيقها في صباح اليوم التالي من انهيار قصة الحب: "كل شيء يمكن أن يحدث، أي شيء يمكن أن يتحمله الإنسان، إلا أن يتزوج بغير حب".

تحاول أوستن من خلال ذلك، تبحث عن الحب، الحياة، والسعادة الحقيقية، فتقودها أقدارها لتدخل في دهاليز علاقات متشابكة مع أفراد من الطبقة الارستقراطية، حيث تتكشف ريف هذه الحياة الباذخة المترفة. ورغم ذلك، إلا أن تسرعها في الحكم على ظاهراً الأمور وتصديق من تنق بهم، يجعلها تبنى تصوراً جانراً لشخصية دارسي الذي تشعر نحوه بالانجذاب رغم كل شيء، تكتب ابنة شقيقها تصف عمها جين أوستن في خطاب وجهته إلى ناشر سيرتها: "كانت العمه جين عطوفة، وتعرف كيف تكون أكثر رقة ونهيداً عند مخالطة الناس، عاشت حياتها مخلصه لقصة الحب التي تملكها وهي في الرابعة والعشرين من عمرها، أدركت أن مرض التدرن لا يمكن ان يجمعها مع من تحب، فقررت أن تكتب وصاياها عن الحب والزواج في روايات تعد اليوم الأشهر حيث بيعت رواية "كبرياء وهوى" أكثر من ٢٠ مليون نسخة منذ صدورها. تكتب في يومياتها: "إن الاستفادة من أي فرصة ليست دائماً بالأمر السيئ، والحب المميز يحتاج إلى بعض الدم، لذا لا تتصرفي بطريقة دفاعية حين توجد الرومانسية لأن أي أمر ممكن الحصول".

وصل جواد سليم إلى لندن عام ١٩٤٦، كان آنذاك في الخامسة والعشرين من عمره، يعاني من قصة حب فاشلة، وعندما شاهدته لورنا للمرة الأولى كان اشبه بالشباب العبثي في ملبسه وتصرفاته، يهتم بالموسيقى، والشعر وقراءة الروايات، والأهم من ذلك كان لديه غيتاراً ايطالياً وذات يوم فاجأ الجميع بارتدائه ثياباً اسبانية، وقد ساهم حب الموسيقى والشعر والروايات في بناء علاقة صداقة بين الفتاة الإنكليزية والشاب العراقي: "فكانا يذهبان معاً إلى العروض المسرحية الراقصة حينما يتوفر لهما ثمن التذاكر، أو يمضيان الوقت في الأحاديث الفنية"



اعمالها الروائية إن تشترك المرأة والرجل في حكاية رومانسية طرفها يجذب أحدهما إلى الآخر وهي تحدد نظريتها عن الحب بالعبارة التالية: "يكون فقط قوة الرضى". توصي على لسان الزبايت في رواية كبرياء وهوى: "تأكدني من أنك تفهمين بالفعل ما تشعرين به لأن مشاعرك قد تخدعك، فكري قبل أن تتصرفي وحتى لو من الكثير من الوقت ستحبين في نهاية المطاف وستحظين بحياة عاطفية رائعة".

أنجرت جين أوستن خمس روايات في حياتها وسادسة نشرت بعد وفاتها، لم تحقق لها الشهرة آنذاك، لكنها استحسنت عالم الشهرة بعد وفاتها ب٥٢ عاماً، بعدما نشر ابن شقيقها سيرتها الذاتية. كانت أولى رواياتها "العقل والعاطفة" قد نشرت باسم مستعار عام ١٨١١، ثم توالى بعدها الروايات الأربع خلال ستة أعوام، ونشرت الرواية السادسة في العام الذي تلا رحليها.

أثارت روايات جين أوستن قضايا اجتماعية ونسوية مبكرة في ذلك العصر، حيث مثلت طموحات النساء في الطبقة الثرية والمتوسطة في التطلع صوب حياة أقل ألماً للوصول إلى ما يحقق ذواتهن، لا سيما ما يتعلق بتعديلات الحب والأحلام التي تخبو على تفاصيلها الرجال. وفي عرضها العلاقة بين الجنسين.

يتناول الفصل الأول من رواية "كبرياء وهوى" صوراً حول إغراء المال وينتهي بنهاية صاخبة لإحدى الشخصيات. تدور الأحداث في الريف الإنكليزي، وتحكي عن الواقع الذي تعيشه عائلات الطبقة الوسطى، ونظرتهم المتعالية إلى أفراد الطبقة الارستقراطية. إليزابيث الابنة الثانية لعائلة (بنيت) تتمتع بشخصية مرحة، ذكية، وثائرة. تتمرد على واقعها الذي يفرض عليها القبول بأول شخص يتقدم إلى خطبتها كي يوفر لها مستقبلاً يقيها الفقر الذي تعانیه عائلتها، فتطلق أفكارها إلى ما هو أبعد من ذلك، تبحث عن الحب، الحياة، والسعادة الحقيقية، فتقودها أقدارها لتدخل في دهاليز علاقات متشابكة مع أفراد من الطبقة الارستقراطية، حيث تتكشف ريف هذه الحياة الباذخة المترفة. ورغم ذلك، إلا أن تسرعها في الحكم على ظاهراً الأمور وتصديق من تنق بهم، يجعلها تبنى تصوراً جانراً لشخصية دارسي الذي تشعر نحوه بالانجذاب رغم كل شيء، تكتب ابنة شقيقها تصف عمها جين أوستن في خطاب وجهته إلى ناشر سيرتها: "كانت العمه جين عطوفة، وتعرف كيف تكون أكثر رقة ونهيداً عند مخالطة الناس، عاشت حياتها مخلصه لقصة الحب التي تملكها وهي في الرابعة والعشرين من عمرها، أدركت أن مرض التدرن لا يمكن ان يجمعها مع من تحب، فقررت أن تكتب وصاياها عن الحب والزواج في روايات تعد اليوم الأشهر حيث بيعت رواية "كبرياء وهوى" أكثر من ٢٠ مليون نسخة منذ صدورها. تكتب في يومياتها: "إن الاستفادة من أي فرصة ليست دائماً بالأمر السيئ، والحب المميز يحتاج إلى بعض الدم، لذا لا تتصرفي بطريقة دفاعية حين توجد الرومانسية لأن أي أمر ممكن الحصول".

مايكل أنجلو

جين ارستن

xxxxxxxxxxxx